كلية العلوم الاجتماعية شعبة الانثروبولوجيا

د.عبد اللاوي ليندة مقياس : ميادين الانثروبولوجيا

السنة الثانية LMD أنثروبولوجيا

عنوان المحاضرة: الانثروبولوجيا السياسية

المحاضرة الأولى: السياسة والأنثروبولوجيا

مقدمة:

يمثل تعريف السياسي بوصفه مجالا متميزا للدراسة، من جهة أولى مشروعا قديما متأصلا في الفلسفة السياسية، ومن جهة ثانية تخصصا حديثا يشكل فيه السياسي موضوعا علميا. عرفت الفلسفة السياسية الإنسان على أنه "حيوان سياسي" (أرسطو) أو "كائن سياسي بطبعه" (هوبس، ماكيافيلي، روسو)، وهي تشير من هنا إلى أن الصراع، وعلاقات السيطرة والخضوع، والمنافسة، والنظام الاجتماعي كلها عناصر تشكل "الطبيعة البشرية" هذه في الأصل، سواء كانت جيدة أو سيئة، هي مترسخة في بيولوجيا الإنسان، وثابتة فيها بشكل نهائي، وهي توجد في أصل كل الظواهر الاجتماعية. فهي المرجع الأساسي لتفسير السياسي، الذي يتم الخلط فيه بين النظام الاجتماعي والنظام الطبيعي، حيث تصبح الدولة ضرورية لحفظ عزى فيه سلطة الدولة إلى النظام الاجتماعي في مجتمع ما تزال تهيمن فيه العالقات الفيودالية، وما تزال تأصل ديني.

لكن البورجوازية باعتبارها طبقة صاعدة تحارب إيديولوجيا النبالة، وتعيد النظر في شكل الدولة وفي نمط المشروعية التي يتأسس عليها القبول بضرورتها المطلقة للحفاظ على النظام الاجتماعي.[1]

السياسية والاقتصاد: :

وجدت السياسة قبل وجود الانثروبولوجيا ، وان كانت الانثروبولوجيا من أحدث العلوم الاجتماعية وجودا الا أن السياسة كعلم تعود الى القرن التاسع عصر أين اهتم الباحثون أنداك بتحليل الانظمة السياسية التي يهيمن عليها النظام الرأسمالي ، مما جعلهم يشرحون الظرف السياسي ولا سيما في المجتمعات ذات الأصل الأوروبي ويربطونه بشدة بمفهوم الدولة.

ان المتخصصين ، فان السياسي هو الدولة: وبشكل عام ليس أية دولة، على الرغم من أنه يقدم بوصفه نظرية كونية حول السياسي، لكنه يهتم أكثر بالدولة الرأسمالية، وبدراسة أشكالها وبنياتها وبكيفية اشتغالها وتطورها.

ويعتبر الاقتصاد والسياسة في ،حد ذاتهما، ميدانين للدراسة. يدعي هذان العلمان الاجتماعيان دراسة جانب معين من المجتمع كما لو كان هذا الجانب مستقلاّ، كما أنهما يسعيان إلى البحث عن قوانين اشتغاله الخاصة بدون الإشارة إلى الكل الاجتماعي أو إلى جوانبه الأخرى لتفسيره يشمل كل نمط إنتاج بشكل عام ثالثة ميادين: الميدان الاقتصادي الذي يتشكل من القوى المنتجة كلاّ مهيكلا من خلال وعالقات الإنتاج، والميدان السياسي والميدان الأيديولوجي. تشكل كل هذه الميادين كوجود عالقات فيما بينها، غير أن الميدان الاقتصادي يعتبر هو الميدان المحدد في نهاية التحليل؛ بمعنى هو الذي يفسر مجموع نمط إنتاج ما[2].

---

[1] ليز بيلون، السياسي في الأنثروبولوجيا – نحو أنثروبولوجيا سياسية-، ترجمة: **مولود أمغار، منشورات مؤمنون بلا حدود** ، 2018، ص 3

[2] المرجع نفسه ، ص ص 3-4

يتميز نمط الإنتاج الرأسمالي بهيمنة الميدان الاقتصادي، وهذا يعني أن إعادة إنتاج عالقة الإنتاج الرأسمالية)الرأسمال/العمل(تتم في المجال الاقتصادي، حيث تضمن إعادة الإنتاج عبر التراكم الرأسمالي .تنشأ هذه العالقة الاستغلالية أساسا في استيلاء الطبقة المالكة للرأسمال على جزء من العمل غير المؤدى عنه للعامل، والذي يسميه ماركس »فائض القيمة«. يتم إحداث وامتلاك فائض القيمة داخل عملية الإنتاج نفسها، وهذا ما يفسر هيمنة الاقتصاد على هذا النمط من الإنتاج. غير أن هذا، ال يلغي وجود نتيجة مهمة تتعلق بطبيعة الميدان السياسي، وهي: وجود استقلالية نسبية وخاصة بين الميدان الاقتصادي والميدان السياسي في هذا النمط من الإنتاج[3]

لا يعتبر الميدان السياسي انعكاسا أوتوماتيكيا للميدان الاقتصادي في نمط الإنتاج الرأسمالي، ألنه يمكن أن تحصل بعض الفروق في التطور بين بنية الدولة وبنية الاقتصاد. ويمكن للدولة أن تقدم قواعد الاشتغال الخاصة بها، ويمكن أن يبقى شكل الدولة لمدة طويلة؛ وذلك حتى بعد اختفاء الظروف الاقتصادية التي أدت إلى ظهورها. يخضع الميدان السياسي في نمط الإنتاج الرأسمالي للميدان الاقتصادي، ألن السياسة تتدخل بشكل غير مباشر في إعادة إنتاج عالقات الاستغلال التي تتم في عملية الإنتاج نفسها. استطاعت كل من السياسة والاقتصاد معا أن يشكلا مجالين خاصين للدراسة، ألن هناك استقلالية نسبية بين هذين الميدانين في نمط الإنتاج الرأسمالي نفسه، وهو ما ينعكس على مستوى المعرفة.

اذن، يعد الحقل السياسي من أحدث الحقول التي استقطبت اهتمام الأنثروبولوجيين الاجتماعيين، وكانت مسألة الدولة التقليدية في صميم تلك الاهتمامات . عالج أوائل الأنثروبولوجيين السياسيين النظريات السياسية في اطار نظرية الدولة وهذا ما جلب لهم الكثير من الانتقادات من طرف الاختصاصيين الذين يلومونهم على توجيه جهودهم فقط نحو هدف محدد سيء حسب نظرهم ألا

[3] ,POULANZAS, Nicos, Pouvoir Politique et Classes Sociales , petite Collection Maspero, Tome II, Paris, , 1968, P165

وهو علاقة السلطة بالبنى الأساسية التي تقدم لها ركيزتها الأولى وبنماذج التدرج الاجتماعي التي تجعل هذه العلاقة ضرورة، وبالطقوس التي تحقق تجذرها في المقدس وتتدخل في استراتيجياتها. [4]

ان اهتمام الأنثروبولوجيين الاجتماعيين بمسائل السلطة والهيمنة داخل المجتمعات البدائية انبثق عنه مجموعة من المواضيع السياسية التي دفعت الكثير من المتخصصين في المجال الى معالجة مسائل سياسية بالدرجة الأولى أثرت الرصيد الانثروبولوجي وجمعت في آن واحد بين علمين متباينين لكنهما متكاملين وهما: السياسية والانثروبولوجيا.

إن مشكلة إدراج الأنثروبولوجيا في الممارسة الاجتماعية تطرح حاليا بحدة شديدة، وربما أكثر في الأنثروبولوجيا السياسية، لأن هذا التخصص يمكن أن يساعدنا على فهم التحولات السياسية الحالية، وذلك بالتساؤل عن الموقف الذي يجب أن يتخذه الأنثروبولوجيون أمام هذه التحولات؟ وما هو الدور الذي تلعبه الأنثروبولوجيا السياسية؟ وما الذي ستخدُمه ومن ستخدم؟ وهل هي حقل مستقل للدراسة؟

السياسية والانثروبولوجيا:

تعرف الأنثروبولوجيا أولا من خلال دراسة نوع معين من المجتمعات التي نسبت اليها مع مضي الوقت أكثر الصفات تنوعا : المجتمعات "البدائية"، "التقليدية"، "المتخلفة"، "العالم الثالث". تأخذ هذه المجتمعات بالنسبة إلى الأنثروبولوجي شكل بنيات كلية، حيث تشكل القرابة مستوى من الواقع المفضل للتحليل. دراسة القرابة والبنيات الذهنية تأخذ بعين الاعتبار الكيفية التي تشتغل بها هذه المجتمعات. على مدى عقود تراجع الاهتمام بهذه الجوانب، وازداد الاهتمام بجوانب أخرى من الواقع الاجتماعي. إذن، يُخلط السياسي مع مقولة "التنظيم الاجتماعي" الواسعة التي تجمع بكيفية متباينة

[4] جورج بالانديه، الانثروبولوجيا السياسية، ترجمة على المصري، **مجد** - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع-، الطبعة الثانية، لبنان، 2007، ص ص 17-18

بين مجموعات القرابة فضال عن جماعات المتطوعين والمجموعات التراتبية والطبقات الاجتماعية والكيانات السياسية.[5]

يرجع تأسيس الأنثروبولوجيا السياسية، باعتبارها ميدانا متميزا للدارسة داخل الأنثروبولوجيا إلى الأنثروبولوجيا الاجتماعية البريطانية، التي كان ميدان دراستها المفضل هو إفريقيا السوداء، حيث أولت أهمية كبيرة لدراسة القرابة والنظم السياسية الإفريقية .نشر في 1940 كتاب بعنوان »النظم السياسية الإفريقية« تحت إشراف كل من فورتس Fortes وإفانس بريتشارد Pritchard Evans، وقد كان هذا الكتاب أول محاولة لتقديم منهجية نظرية حول السياسي، وذلك بأفق دحض النظرية التطورية.

تبدو الانثروبولوجيا السياسية مشروعا قديما جدا لكنه في الوقت نفسه اختصاصا من اختصاصات البحث الانثروبولوجي الذي تأخر تكوّنه. وهي بوجهها الاول تتجاوز التجارب والعقائد السياسية الخاصة. وتتجه بالتالي لتأسيس علم سياسي ، مفتشة عن الخصائص المشتركة لكل الأنظمة السياسية المعروفة بتنوعها التاريخي والجغرافي. وهذا فكانت مائلة في سياسية" أرسطو" الذي يعتبر الكائن البشري كائنا سياسيا بطبيعته ويتطلع الى اكتشاف قوانين معينة بدلا من تعريف أفضل دستور معقول لكل دولة ممكنة.[6]

تعود الأنثروبولوجيا السياسية في جذورها إلى القرن التاسع عشر. حين حاول باحثين كلويس مورغان، وهنري ماين تتبع تطور المجتمع البشري من الطور "البدائي" (أو: الوحشي) إلى أشكال أكثر تطوراً وتعقيداً. ولكن هذه المحاولات المبكرة كانت تتسم بطابع العنصرية و المركزية العرقية، ومع ذلك فقد أرست هذه الدراسات قواعد الأنثروبولوجيا السياسية من خلال إجراء دراسات حديثة متأثرة بروح العلم الحديث، و على وجه الخصوص: الداروينية. وفي خطوة ستكون مؤثرة في مستقبل الدراسات

---

[5] ليز بيلون، السياسي في الأنثروبولوجيا – نحو أنثروبولوجيا سياسية-، ترجمة: **مولود أمغار، منشورات مؤمنون بلا حدود ، 2018، ص 3**

[5] المرجع نفسه ، ص 4

[6] جورج بالانديه، مرجع سابق، ص 15

الأنثروبولوجية، فقد قاموا بالتركيز على روابط القرابة كمفتاح لفهم النظام السياسي في المجتمع البشري، وأكدوا على دور النَسَب كموضوع للدراسة.

بغض النظر عن اعتبار أن التساؤل حول أصل الدولة والمؤسسات الأخرى سؤال زائف وضرب من الخيال الفلسفي، فإن كل من فورتس وبريتشارد قد طبقا في الميدان السياسي المبادئ النظرية للأنثروبولوجيا الاجتماعية .ينبغي أن تكون الأنثروبولوجيا الاجتماعية بحسبهما دراسة علمية للنظم السياسية، وينبغي أن تستلهم منهج العلوم الطبيعية: الاستقراء والمقارنة. كما ينبغي أن ينظر إلى المجتمع باعتباره نظاما تتفاعل أجزاؤه وتتوازن. يكون السياسي جانبا من البنية الكلية وتتمفصل معه بفعل الوظائف التي يؤديها من خلال المؤسسات في كلها الاجتماعي. لا يغطي المنهج المقارن إلا جانبا من النظام الكلي، ويهدف إلى الكشف عن أوجه التشابه والاختلاف البنيوي. هذه المنهجية ليس لها معنى إلا إذا سبقها تصنيف للبنيات.

فكل من فورتس و إيفانس بريتشارد النظم السياسية الإفريقية إلى ثالثة أنماط: نظم سياسية تتمتعَ صن بسلطة مركزية، وجهاز إداري، ومؤسسات قانونية. ونظم سياسية ال تملك هذه المؤسسات، ولكن السياسي يحضر فيها بشكل متمايز عن القرابة، والمجتمعات الصغيرة التي يختلط فيها السياسي بالقرابة. بالنسبة إلى الوظيفيين ليس هناك بنية اجتماعية بدون بنية سياسية؛ بمعنى آخر السياسي هو ذو طبيعة كونية، وغياب الدولة ال يعني غياب البنية السياسية[7].

[7] ليز بيلون، السياسي في الأنثروبولوجيا – نحو أنثروبولوجيا سياسية-، ترجمة: **مولود أمغار، منشورات مؤمنون بلا حدود** ، 2018، ص ص 8-7